

السهروردي المقتول نزعتة الصوفية وفكره الاشراقي

المدرس الدكتور
عبد الرضا حسن جياذ
كلية التربية - جامعة القادسية

الملخص :

السهروردي المقتول ٢

هناك صوفيان يحملان لقب السهروردي، احدهما عمر بن عبد الله السهروردي (ت ٦٣٢هـ)، والسهروردي المقتول، وهو الشيخ يحيى بن حبش، الذي ولد سنة (٥٤٩هـ) في سهرورد غرب ايران قرب همدان من اسرة صوفية وكانت هذه المدينة مشهورة بانتشار الزندقة وفيها نشاط عقلي، وبسبب شهرتها بالزندقة اخذ سكانها يهاجرون ولم يبق فيها سوى اسر قليلة من جملتها اسرة السهروردي، وكان عمه «ابو النجيب السهروردي».

ميز ولقب بالمقتول لان الملك الظاهر بن صلاح الدين الايوبي، كان قد قتله في حلب في (٥ رجب ٥٨٦هـ) بسبب اتهمه بالاحاد بعد مناظرة بينه وبين علماء حلب انذاك، وبعد ان سئل عم اذا كان الله القادر يستطيع ان يخلق نبياً بعد الرسول الكريم محمد (ص)، فاجابهم بالاجاب، هذه تهمة الاحاد مع ان هذه فكرة افتراضية وأن العقيدة قد منعت طريقها، ولأجلها قتل اولاً، وثانياً لقوله باقوال الفلاسفة في وضع سياسي قائم على المجابهة مع الصليبيين والذي يستدعي التقيد بالشريعة الاسلامية.

استلهم السهروردي مذهبه بين الفلسفة والتصوف، وقد امتدح افلاطون ونزعتة المثالية، وصوفيته الروحية، كما مزج بين تعاليم الإسلام والصابئة، واعتبر الحلاج

كان الصحابة يدعون إلى الزهد والعبادة والورع وإلى التسليم باحكام الله ومقاديره، فيما جنح الناس إلى مخالطة الدنيا والتأثر بمؤثراتها السلبية، واختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية، والتصوف هو «العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله عزل وجل والاعراض عن زخرف الدنيا والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة والعبادة» (١)، فظهر تيار صوفي ضم بين ظهرائه الكثير من الذين امنوا بانقطاع الدنيا وزوالها، وبمشروع جديد عبارة عن نزاع وميل إلى المثل الاعلى، ومن خلال ذلك ارادوا الاطمئنان على صحة سلوكهم في مشوارهم المؤقت المجهول «الدنيوي اولاً، وثانياً السلوك وفق مناهج حياة وضعت بأمر رباني معز بثواب وعقاب، فكم يكون المسلم سعيد عندما يفوز بثواب الله عز وعلا، وذلك الثواب الازلي الابدی الذي ليس سواه حد.

من ذلك اخذ افق التفكير اللاهوتي يتسع وبدأ يظهر في التصوف، وستتناول في هذا البحث تقديم السهروردي المقتول احد اعلام متصوفة القرن السادس الهجري، والذي اظهر نزعتة الصوفية مؤطرة بفكره الاشراقي «اشراق نور الانوار».

والبسطامي، اتباع افلاطون(٣).

ترحاله (٤) :

لزم الاشتغال ليلاً ونهاراً، وترك سهرورد وذهب إلى مراغة في اذربيجان، حيث التقى باستاذة فخر الدين الرازي (٥) (ت٦٠٤هـ) وهو من كبار الاشاعرة، ترك اذربيجان وذهب إلى حلب واشتغل كشيخ في التصوف والفلسفة على نحو جديد غير مألوف.

السهروردي المقتول وفكرة النور الالهي :

بدأ ينشر ابحاثه الفلسفة والانطلاق من فكرة النور الالهي على اساس إلهامي لا عقلي بالتجنب عن افكار ارسطو والتقرب من افكار افلاطون المثالية، ثقافته الواسعة واشتهاره كبير، أدى ذلك إلى صداقته مع امير حلب الناصر يوسف الايوبي. وهذا ما اثار حفيظة وأحقاد الفقهاء المتنفذين في البلاد الايوبية، واستغل الفقهاء حرية التفكير عند السهروردي فعمدوا له مجلساً الزموا فيه القول بان قرار القول بأمكانية خلق نبي بعد الرسول الكريم ابو القاسم محمد (ص)، امر مقبول عقلياً، وان كان قد اتفق على اساس ان النبي محمد (ص) خاتم الانبياء عليهم السلام، ادت هذه الفكرة بالحكم عليه بالقتل وصدر الحكم من الامير الظاهر بن صلاح الدين الايوبي وقتل صبراً أي قتل من العطش والجوع (٦).

تصوفه وفلسفته :

لقد جمع السهروردي المقتول بين الجانب الصوفي والفلسفي، فقد كان صورة مطورة للحلاج، وكانت له افكار مستقاة من زوايا وجهات مختلفة بما في ذلك المعتقدات الفارسية القديمة، وكان له اطلاع على العلوم الفارسية والهندية والارغريقية.

وذكرت عن السهروردي المقتول مجموعة من الكرامات تتصل بالتصوف والطبيعة والسحر، وذكرت مجموع من اشعاره الصوفية على غرار اشعار الحلاج منها(٧):

وارحمته للعاشقين تحملوا

وزر المحبة والهوى الوضاحا

السر إن باحوا تباح دمائمهم

وكذا دماء العاشقين تباحا

وهنا تأكيداً على العشق الالهي الذي قالت فيه رابعة العدوية (ت١٣٥هـ). اضافة إلى هذه الملامح الثقافية كان شيخنا المقتول ذا مظهر زهدي واضح حيث يهمل ثيابه وجسمه وقوته والمال، ويبرز من ذلك ان له هدف أسمى من هذه المطالب المادية، إلا وهو الفقر والافتقار امام الله عز وعلا لكي يحقق مواصلته السلوكية والاداء في المقامات العرفانية وكسب رضا الله والفوز بثوابه الابدي (٨).

اشاره العلمية (٩):

خلف السهروردي المقتول مجموعة من الكتب المشهورة، وقد شرحت شروحاً واسعة، منها:
حكمة الاشراق، له ثمانية شروح.
هياكل النور، له خمسة شروح.
الغربة الغربية. رسالة. تشبه قصة "حي بن يقظان" لابن طفيل.
المشارع والمطارحات.
المقامات.
التلويحات.

ارائه في فكرة الاشراق :

ان اراء الشيخ المقتول بالاشراق - ظهور النور، وهي فلسفة قال بها فخر الدين الرازي واحتاروا بامرها، وثبت انها فلسفة السهروردي المقتول صاحب فكرة الاشراق من النور الالهي.

وكان قد قال في كتابه "الغربة الغربية" عندما يعيش في الغرب يعيش عالم خاص وهو عالم الغربة، والغربة الغربية ضد الانس الشرقي، فالفلسفة الاشراقية هي الفلسفة التي

يُنظر أو يجعل الله فيها مصدر المعرفة (١٠).

فالسهروردي كان اول مفكر صوفي فلسفي يستثمر فكرة النور أستثماراً فلسفياً يقوم على قاعدة الهامية حيث يكون له اهمية ولا اهمية للالهام (١١).

فكرة النور الالهي فكرة فارسية قد يمة تتمثل في ان العناية الالهية انما نور يحمل في اصلااب الملوك الذين يحكمون بلاد فارس ومن هذا النور يستمدون الحكمة والهدى والسلطة، فاذا مات هذا الملك انتقل النور إلى الملك الذي يليه (١٢).

وقد اشار القران إلى النور الالهي في مجموعة من الايات "الله نور السماوات والارض" وهنالك في تاريخ الإسلام اضيفت فكرة النور الالهي إلى النبي محمد (ص)، فيما مدحه عمه ابو طالب في قصيدة فيها ذكر لهذا النور متسلسلة من الانبياء والى اجداده ثم إليه، والانوار عبارة عن مجموعة من التجليات، وفيها جملة من المعاني وهي ارق من الأنوار، فالأسرار للذات والأنوار للصفات (١٣)، والذي يقرأ في التاريخ الإسلامي يجد طالبياً مسلماً اسمه عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر، كان قد استغل فكرة النور الالهي في حركته، وكذلك اتباعه الذين استغلوا فكرة النور واعتبروه اماماً للمسلمين، كذلك دخلت هذه الفكرة عالم التصوف وتأسست عليها طرق وفرق الصوفية سميت بـ: "النورية" قبل ظهور الطرق الصوفية، وقد استغلها الحلاج في تكوين فلسفته الصوفية، وكان قوله بفكرة النور تهمة من التهم التي وجهت إليه في النهاية (١٤).

وما لاشك فيه ان فكرة النور الالهي دخلت في عالم التصوف وصارت جزء منه خصوصاً في الطرق الصوفية ذات الجذور المشرقية من أمثال الطريقة المولوية (١٥) وصارت تشير إلى العلم الالهي الذي يكتسبه البرنامج الصوفي المرسوم له تطبيق كامل، عند ذلك تعتبر المعرفة الصوفية نوراً الهياً وتعتبر اقواله وكراماته نتيجة لهذه الرعاية الالهية المتمثلة في اشراق قلبه في المعرفة الصوفية، وينبغي ان لا ننسى ان الصوفيين المجوس قبل الإسلام كانوا يسمون بـ: "منوري القلب" والناظرين إلى النور في الظلام، وهذه الفكرة قد يمة تمتد إلى الفراعنة القدماء الذين كان كهنتهم يسمون باسماء

تتصل بالنور الالهي (١٦).

وإذا سألنا عن فلسفة السهروردي المقتول فالجواب انها انطلقت من هذه الفكرة أي فكرة الاشراق، ويشير إلى ما جاء بايات القران الكريم، فضلاً عن المعرفة اليونانية وكذا الصوفية.

رتب السهروردي (١٧) العالم ترتيباً فلسفياً يتمشى مع النظام الفلسفي اليوناني، ورجح في فلسفته موضوعات الطبيعة وما وراء الطبيعة، وجعلهما عالماً واحداً هو عالم الاشراق، ويعتبر العالم كله مجموعة من الانوار القد يمة يصدر بعضها عن بعض صدوراً منظماً غير خاضع للزمن، ثم يتنازل عنده النور وصورته المطلقة، التي تتمثل في الذات الالهية التي يسميها نور الانوار حتى تصل إلى الجسم الانساني بموجب الجدول الاتي (X):

ان منطلق الفلسفة الاشراقية من تقديم الحركة واعتبارها العنصر الذي يربط بين العالم العلوي والعالم السفلي، اما بدايتها فمؤداه ان النفس الناطقة هبطت من العالم العلوي العقلي إلى العالم السفلي الظلماني لكي تشكل العلوم والمعارف الحقيقية (١٩).

ويعنى بالنفس الناطقة الوجود الجزئي غير المتجسد المتمثل بالافراد الروحية، ويذكر السهروردي ان رسالة استكمال العلوم والمعارف لا تحقق للنفس صورتها المجردة إلا مع الجهد الجهد، والوقت الطويل، ومن هنا تلبست النفس الناطقة بجسم واستعانت بتحقيق هدفها بالحواس وقوى البدن التي غايتها القصوى في رأي السهروردي الاطلاع على العالم المادي، أي ان الانسان الروحاني يستهلك جسده في الوصول إلى الاحاطة التامة بالمعارف العلمية والعقلية، وهذا هو القصد من الخلق لا الاستمتاع بالذات المادية (٢٠).

بعد اداء هذا الغرض تفارق النفس البدن منتشية بحقائق الموجودات منقطعة الصلة بين الجسم الانساني والعالم المادي، ثم ترتفع إلى الملاء الأعلى لتنال رجائها وهو الاحساس بالجمال الارزي والبهاء الابدي (٢١).

الكواكب وحركتها وانوارها ورتبها ، كان قد خالط به قول بعض العقائد السائدة في بلاد المشرق الاسلامي ، بقدر ما كان قد ظهر جليا على جوهر عدد من الحركات الفكرية المتطرفة في المشرق ومن ذلك العرض اري ان فكرة السهروردي المقتول التي مفادها ان العالم قديم معاصر للحكمة القديمة لا تلتقي مع منهج الاسلام الحنيف وتأكيده على ان الله عز وعلا خلق السماوات والارض ، وهو الاول والاخر ، وهذا ما يؤكد ان العالم من خلق الاقدم (الله) عزة وعلت قدرته .

الصلة بين الانسان المادي ونور الانوار:

السهروردي صب هذه الصلة في قالب من القهر والتسلط من نور الانورا ”الله عز وعلا“ ، وينصب إلى الجسم الانساني بعد تسلسل في الانوار النازلة حسب التخطيط الماضي حتى يصل إلى الجسم الذي يسميه السهروردي (٢٢) ”بالروح“ .

ومن ناحية اخرى هناك تطلع انساني إلى العالم الروحي وشوق وحب للوصول إلى العالم الروحي الذي جاء منه الوجود المجرد، وبذلك يلتقي القهر والشوق، والتسلط والاستسلام، والقوة والضعف، لكي تدور جاذبية روحية، أو تيار روحي يستمد وجوده من السلب والايجاب (٢٣). في الظلام والنور يستمر العالم في حركة دائبة مادياً وروحياً، تلتقي هذه التنظيمات مع الفكرة القرآنية التي تذكر ان كل مظهر من مظاهر العالم له اصل زوجي كالذكر والانثى، وكالعلو، والسفل للحكمة والجذب والشد (٢٤).

ويقول السهروردي: ”ان العالم قديم معاصر للحكمة القديمة التي هي سر الترابط بين العالم العلوي والعالم السفلي، وبين نور الانوار والنفس الانسانية“ .

ويعرف السهروردي الحركة : انها لا تنقطع وانها للافلاك ”تحمل الكواكب“ وبانها دورية (٢٥). أي انها لا تنتهي حتى تبدأ من جديد، ويذكر السهروردي ان هذه الافلاك والمسارات المحركة للكواكب حركة مستمرة انما هي تشبه بالامور القدسية واشعة الانوار القاهرة، وان حركتها ما هي إلا تعبير عن العشق الالهي والوصول إلى نور الانوار، ويذكر السهروردي (٢٦). ان الافلاك والكواكب وان كانت متعددة فهي ليست متفاوتة في الزمن ، وانما متفاوتة في الافضلية التي تتمثل بالنسبة النورية التي يتميز بعضها عن البعض الاخر وذلك من حيث قربه وبعده من نور الانوار (٢٧)، وهذا الطرح الذي خص به شيخنا السهروردي

الخاتمة:

صاحب مصنفات جمه، ومنها التفسير الكبير، انظر ترجمته في مقدمة التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠، ١-٢/٥.

٦ الشيببي، كامل مصطفى، محاضرات في التصوف، بغداد، ١٩٧١، ص ٤٠. علاء الدين، التجربة الصوفية، ص ١٣٧.

٧ الشيببي، محاضرات، ص ٤١.

٨ علاء الدين، التجربة الصوفية، ص ١٣٨.

٩ الشيببي، محاضرات، ص ٤٢.

١٠ السهروردي، يحيى بن عبد الله، ت ٥٨٦هـ، الغربية الغربية، دار صادر، ١٩٦١، ص ١١٣.

١١ الشيببي، محاضرات، ص ٤٥، فتاح، عرفان عبد الحميد، الفلسفة والتصوف، ص ٢٦٥.

١٢ السهرورد المقتول، حكمة الاشراف، مطبعة السعادة، ١٩٥٠، ص ٨٠.

١٣ السهروردي المقتول، هياكل النور، مؤسسة الفرات العربي، بيروت، ١٩٦٧، ص ٣١. الحسن، ابن عجيبة، مراجع التشوف في حقائق التصوف، تقديم عبد الحميد صالح حمدان، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٣١.

١٤ السهروردي المقتول، هياكل النور، ص ٣٥.

١٥ «المولوية»: فرقة صوفية ظهرت في بلاد الشام في القرن السابع الهجري، وجاءت تسميتها من كلمة «مولانا» وهو لقب اعطي لجلال الدين الرومي مؤسسها، ويطلق على اتباعها «الدراويش الراقصين، من سماتهم الصلاة، الصوم، والتعبد للوصول إلى الاشراف الصوفي. لمزيد من المعلومات انظر: الصباغ، ليلى، طبيعة المجتمع السوري في مطلع العهد العثماني، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٢، ص ١٨٦-١٨٣.

١٦ الشيببي، المحاضرات، ص ٤٦.

١٧ السهروردي المقتول، حكمة الاشراف، ص ٨٦.

تبين لنا من هذه الدراسة بعد اشارة التعريف بهوية شيخنا الصوفي والفيلسوف الاشرافي وصاحب فكرة الاشراف، ونور الانوار، السهروردي المقتول، مقدار الصلة بين نزعتيه الصوفية وفلسفته البحتة التي عرضنا وجيزاً عنها، ولاحظناه يتطلب من كل انسان ان يحقق من وجوده الجوهري في العالم السفلي معناه، والصعود إلى نور الانوار بعد الاحاطة بقيم العالم السفلي بالسلوك والاداء، لكي تكون القربى للسالكين الصوفيين والمتفلسفين المعتقدين بالفلسفة الاشرافية وحسب تقسيماته، فكل من عرف الله حق معرفة، وملاً قلبه من نور محبته، سيكون اهلاً لسعادة لا تنتهي ولنعمة لا تنضب، ولانوار وابرار لا تنفذ.

هوامش البحث

١ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ت ٨٠٨هـ، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد، دار الكتاب العربي، بيروت، ص ٤٦٨.

٢ الرجا، حسين، التصوف في البداية والتطرف في النهاية، مؤسسة الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣، ص ١٣٠.

٣ علاء الدين، بكري، التجربة الصوفية، بيروت، ١٩٩٩، ص ٢٠. فتاح، عدنان عبد الحميد، الفلسفة والتصوف، بحث في حضارة العراق، بغداد، ١٩٨٥، ص ٢٦٩.

٤ الرجا، حسين، التصوف في البداية، ص ١٣٠.

٥ فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي، ت ٦٠٤هـ، ابن «خطيب الري»

المصادر والمراجع

- (×) راجع الشيببي ، المحاضرات ، ص ٥٦ .
- ١٩ السهروردي ، حكمة الاشراق ، ص ٨٧ .
- ٢٠ السهروردي ، نفس المصدر ، ص ٨٩ - ٩٠ .
- ٢١ السهروردي ، حكمة الاشراق ، ص ٩١ .
- ٢٢ الشيببي ، المحاضرات ، ص ٥٧ .
- ٢٣ علاء الدين ، التجربة الصوفية ، ص ١٣٨ .
- ٢٤ الشيببي ، محاضرات ، ص ٥٥ .
- ٢٥ الشيببي ، محاضرات ، ص ٥٥ .
- ٢٦ النورس ، سعيد ، المفتاح إلى عالم النور ، ترجمة احيان الصالحي ، بغداد ، ص ٢٠ .
- ٢٧ النورس ، سعيد ، انوار الحقيقة ، ترجمة احسان الصالحي ، مطبعة الحوادث ، بغداد ، ص ٨٥ .
- الحسني ، ابن عجب ، مراجع التشوق إلى حقائق التصوف ، تقديم د. عبد الحميد صالح حمدان ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٩ .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، ت ٨٠٨ هـ .
- المقدمة ، تحقيق علي عبد الواحد ، دار الكتاب العربي ، بلا تاريخ .
- الرجا ، حسين ،
- التصوف في البداية والتطرف في النهاية ، مؤسسة الفكر الإسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٣ .
- السهروردي المقتول ، يحيى بن حبش ، ت ٥٨٦ هـ ،
- حكمة الاشراق ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
- الغربة الغربية ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٤ .
- هياكل النور ، مؤسسة التراث العربي ، ١٩٦٧ .
- الشيببي ، كامل مصطفى ،
- محاضرات في التصوف ، القيت على طلبة قسم الفلسفة في كلية الاداب جامعة بغداد ، ١٩٧٦ .
- الصباغ ، ليلي :
- طبيعة المجتمع السوري في العهد العثماني ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٢ .
- علاء الدين ، بكري :
- التجربة الصوفية ، بيروت ، ١٩٩٠ .
- فتاح ، عرفان عبد الحميد :
- الفلسفة والتصوف ، بحث منشور في حضارة العراق ، الجزء الثامن ، بغداد ، ١٩٨٥ .
- النورس ، سعيد :

انور الحقيقة، ترجمة احسان الصالحى، مطبعة الحوادث،
١٩٩٠.

مفتاح الانوار، ترجمة احسان الصالحى، مطبعة المشرق،
١٩٩٥.

